

## The problematic of the changing historical conditions of the organizations in the economic architecture light of the continuous formation of political

### إشكالية الأوضاع التاريخية المتغيرة للمنظمات في ضوء التشكل المستمر للعمران الاقتصادي السياسي

أ. جلود رشيد<sup>1\*</sup>، أ. سحوان عطاء الله<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجلفة - الجزائر

<sup>2</sup> جامعة الجلفة - الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/08/20؛ تاريخ القبول: 2020/09/18؛ تاريخ النشر: 2020/09/30

**ملخص:** المجتمعات الحديثة تتكون من مجموعة من المنظمات الماكروسوسولوجية والميكروسوسولوجية والتي تتشكل أساسا من شبكات معقدة من العلاقات وأنماط متعددة من القيادات، هذه الشبكات المعقدة تتغير من حالات التماسك المتين إلى حالات التمزق المهين حيث تسود على إثره الصراعات والإنفجارات والانهيارات التاريخية للمجتمع بكل أنساقه ونظمه وأساس كل ذلك الأحوال والتغيرات والتبدلات الحادثة على مستوى العمران الثقافي الذي ينتج عنه العمران السياسي والاقتصادي. إن المرحلة التاريخية التي تستولي فيها المنظمة الاستحواذية على السلطة والمال وتتمظهر عادة ببطقة من الأوليفارشية الحديدية تدخل المجتمع عادة في سجون تاريخية محكمة الإغلاق لا يمكن الخروج منها إلا بصعوبة بالغة نحو الديمقراطية، ولكن الاستمرارية في المحاولات القائمة على الطرق السلمية وطريقة البديل الثالث من خلال التعاون الإبداعي لا محالة ستثمر العمران السياسي والاقتصادي القائم على القيم الثقافية الإيجابية.

**الكلمات المفتاح:** الكلمات المفتاحية: الأوضاع التاريخية، المنظمات، العمران السياسي، العمران الثقافي، شبكة العلاقات الاجتماعية، الستاتيكا، الديناميكا، المشروع الحضاري التنموي، التنمية الثقافية والمعرفية.

**Abstract:** Modern societies consist of a group of macro-physiological and micro-physiological organizations consisting mainly of complex networks of relationships and multiple patterns of leadership. These complex networks change from solid cohesion to debilitating rupture, with conflicts, explosions, and historical breakdowns of society in all its forms, All these conditions and changes and changes occur at the level of cultural architecture, which results in political and economic construction.

The historical stage in which the Occupying Organization takes over power and money, usually characterized by a layer of the iron olivarchy, usually enters the community in tightly sealed historic prisons, which can only emerge with great difficulty towards democracy, but continuity in attempts based on peaceful methods and the third alternative through cooperation Creativity will inevitably produce political and economic architecture based on positive cultural values.

**Keywords:** Historical Conditions.Organizations. Political Age.AmranCultural.The Network of Social Relations.Statika.dynamica.The project of civilization development.development of cultural and knowledge)

**I- تمهيد :**

المجتمع بكل منظماته الماكروسوسولوجية و الميكروسوسولوجية يعيش في تفاعلات اجتماعية مستمرة داخل المنظمة ذاتها وبين المنظمات، هذه التفاعلات قد تكون سلبية ناتجة عن الصراعات التي تفرز الهدر التاريخي لكل الطاقات خاصة المال والوقت، وفي أحيان أخرى تكون هذه التفاعلات إيجابية والناتجة عن مختلف التعاونات الإيجابية الحادثة داخل المنظمة أو بين المنظمات وينتج أرباح كثيرة للمجتمع في مجال الطاقات التاريخية المتمثلة في المال والوقت.

وينشأ عن ذلك التأسيس التاريخي للعمارة السياسي والاقتصادي للدولة والأمة الناتج أصلا عن العمران الثقافي، ففي اللحظة التاريخية التي تنتشر فيها القيم الثقافية السلبية يكون العمران الثقافي قائم على مجموعة من المنظمات المبنية على شبكة العلاقات الاجتماعية الصراعية المنتجة لعمران سياسي واقتصادي مفكك وضعيف وفي اللحظة التاريخية التي تنتشر فيها القيم الثقافية الإيجابية يكون العمران الثقافي قائم على مجموعة من المنظمات المبنية على شبكة العلاقات الاجتماعية التعاونية المنتجة لعمران سياسي واقتصادي القوي والمتين.

**II. حركة منظمة في التاريخ بين الستاتيكا والديناميكا على ضوء العلاقة الصراعية والتعاونية:**

تتحرك شبكة العلاقات الاجتماعية في مخبر التاريخ من حالة التعاون إلى حالة الانفصال والاستقلال إلى حالة الصراع حسب التفاعلات النفسية الاجتماعية بين الأفراد والجماعات داخل المنظمة ويتم ذلك بالتزامن مع تغيرات الأحوال والعلاقات على مستوى الدولة والأمة، أي التغيرات الأساسية التي تحدث على مستوى المنظمة السياسية والثقافية في عملية تبادلية بين الثقافة والسياسة "المنظمة هي وحدة اجتماعية هادفة، والمنظمات قديمة قدم الإنسان ذاته، لأن الفرد لا يستطيع العيش بمعزل عن غيره ويشكل انتماءه للمنظمة ضرورة إنسانية تنبثق عن طبيعة السلوك لاجتماعي للإنسان، حيث تعمل على ديمومة وجود الفرد في الجماعة، وتعد ظاهرة انتشار المنظمات الرسمية وغير الرسمية إحدى أهم سمات الحياة الإنسانية المعاصرة.

وتصاحب المنظمة الفرد طيلة حياته، فهو يعيش في عدد متزايد منها، سواء كانت صغيرة أم كبيرة، فرعية أم رئيسية، وفي مختلف أوجه حياته، وفي كل قطاعات المجتمع والاقتصاد الوطني على حد سواء فالأسرة، والمدرسة، والجامعة، والدوائر الحكومية، ومنشأة الأعمال، والمستشفى، والنادي كلها منظمات يعيش فيها الفرد ويتفاعل من خلالها الفرد مع الجماعات، .... وهكذا يتضح مدى التغيير الكبير الذي تعرض له مفهوم نظرية المنظمة، عبر المنظمات الفلسفية والفكرية والتي يؤكد عليها هذا الباحث أو ذاك، ضمن اتجاهات ومدارس فرعية كثيرة، ومع ذلك فهناك حقائق أساسية عن المنظمة أهمها:

وجود مجموعة من الأفراد، السعي لتحقيق أهداف معينة، سيادة التنظيم الرسمي لعلاقات الأفراد فيها، نشوء العلاقات غير الرسمية فيها نتيجة للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد، تفاعل المنظمة مع البيئة" (خليل محمد حسن الشماع، خطير كاظم حمود، 2014، ص 29\_33)

ثقافة الديمقراطية هي أفضل وسيلة لقيام منظمات ماكروسوسولوجية تؤسس للمنظومة القانونية المنتجة للعدل والمنظومة الأخلاقية المنتجة للواجب، هذه ما يحدث على مستوى المؤسسات الغير رسمية فيمكن الإطاحة بالديمقراطية لأنها نظام هش لكنها أفضل وسيلة لتحقيق العدالة والرقعة والمساواة بين المواطنين، لكن في حالة سقوطها فإن مصير الجماعة هو ظهور القانون الحديدي للأوليفاركية "إبتكر روبرتو ميتشلز، وهو أحد تلاميذ فيبر، مفهوما أصبح كثير التداول منذ ذلك الوقت لتفسير فقدان السلطة في المؤسسات من أعاليها إلى أسافلها، لقد هب ميتشلز (Michels, 1967) إلى القول إن قانون الأوليفاركية الحديدي يسود المنظمات الكبيرة بل المجتمع

الذي تهيمن عليه المنظمات والأوليفاركية تعني حكم الأقلية، وانسياب السلطة والقوة في المراتب هما من النتائج الحتمية للبرقطة المتزايدة في المجتمع، من هنا جاءت تسميتها بمصطلح القانون الحديدي، لفهم السبب الذي دعا ميتشلز إلى اعتبار الأوليفاركية نتيجة حتمية لا مناص منها، يجدر بنا أن ننظر إلى المفارقة الرئيسية التي عاجلها في كتاباته، فهو يرى أول الأمر أن المنظمات عناصر ضرورية للديمقراطية، غير أنها تؤذن في الوقت نفسه بانقراض الديمقراطية آخر الأمر، فالمنظمات هي الأسلوب الوحيد المعقول لحشد أعداد كبيرة من الناس ودفعهم للمشاركة في العمليات السياسية وإتاحة الفرصة أمامهم للتعبير عن آرائهم، غير أنه يستحيل بعد قيام المنظمات إدارتها والإشراف عليها من جانب أعداد كبيرة من البشر، ومن هنا تبدأ عملية متسارعة تؤول إلى " فقدان " السلطة لصالح القمّة إن نماذج ((الديمقراطية التمثيلية)) تتنحى وتترك المجال مفتوحاً للقيادات والبيروقراطيات المتفرغة التي تخلي بدورها السبل كحكم النخبة أي الأوليفاركية، وتعمل الأوليفاركية فور قيامها على تأمين استمرارية سلطتها والحفاظ عليها وتحقيق القيم التي انتخبت لإنجازها بأسلوب ديمقراطي من جانب من يساندونها، ويعتقد ميتشلز أن هذه العمليات الدينامية لا محيد عنها في كل المنظمات المفردة وفي المجتمعات الديمقراطية بأكملها على السواء" (أنتوني غيدنز، 2005، ص420)

تشكل المنظمات في المجتمع يهيئ لقيام الديمقراطية في المجتمع وذلك لتحقيق المشاركة الكبرى في العمل السياسي والاقتصادي والثقافي للمجتمع، لكن التأطير الاجتماعي لهذا الكم الكبير من المجتمع صعب المنال والتحقيق وعرضة للتفتت والانفراط مما يهيئ المناخ لظهور طبقة من النخبة الأوليفاركية التي تتحكم في المجتمع بقبضة من حديد. " ربما كان أوضح أسباب الصراع في المنظمات وبينها هو التنافس للحصول على الموارد المحدودة، فلا توجد منظمة لديها موارد غير محدودة ولذلك يدور الصراع حول تقسيم الأماكن والأموال والمعدات والأفراد، وتزيد من حدة الصراع نتيجة لاعتقاد كل طرف أنه أحق بتلك الموارد من غيره، وهذا مجرد تبرير للحصول على جزء أكبر من هذه الموارد، ولذلك فليس من المستغرب أن يؤدي ذلك إلى صراع طويل المدى، وإذا كنت قد تنافست مع أحد الزملاء للحصول على مكتب معين، أو للحصول على جزء من الدخل المخصص للترقية، فإنك تكون على دراية جيدة بطبيعة هذا النوع من الصراع.

وهناك سببان إضافيان للصراع، ولكنهما وثيقي الصلة ببعضهما وهما: غموض المسؤولية، عدم وضوح السلطة، ففي بعض الأحيان يكون هناك عدم الدقة في تحديد الجماعات المسؤولة عن أداء مختلف الواجبات والأنشطة، وعندما يوجد ذلك فإن المكلف بهذا النشاط قد يتهرب من مسؤوليته، وهنا يولد النزاع أو الصراع بسرعة، وبالمثل فإن عدم التأكد أو عدم تحديد صاحب السلطة على مجال عمل معين يقع كثيراً، ويعني ذلك أنه كلما كانت المسؤولية محددة بوضوح في المنظمة وإما من خلال السياسات الرسمية أو عن طريق غير رسمي أو الثقافة التنظيمية المستقرة كلما قل وجود الصراع كما أن الصراع لا ينبع فقط من تعارض الاهتمامات، بل يحدث أيضاً نتيجة لعوامل شخصية مثل : المشاحنات الطويلة، والحقد، والرغبة في التأثر أو الانتقام، والاتصالات السيئة وما شابه ذلك، ويبدو أن الدور الذي تلعبه العوامل الشخصية مهم بصفة عامة وإن اختلفت أهميته من ثقافة لأخرى" (جيرالد جرينبرج، روبرت بارون، 2004، ص480\_481)

وعلى هذا الأساس فشبكة العلاقات الاجتماعية تتمزق لما تدخل المنظمة في صراعات لأسباب أو لأخرى وأساس هذا الصراع هو انتفاخ الأنا وتورم الذات خاصة في نوعية القيادات السائدة والماسكة بزمام الأمور ففي اللحظة التي يتفرعن فيها قائد المنظمة ويصاب بجنون العظمة، تصبح كل الجلسات واللقاءات الخاصة بالمنظمة عديمة الجدوى لأن كل طرف لا يبحث عن الحلول وإنما يبحث عن أدلة وبراهين لصحة رأيه، من جهة أخرى نجد غياب ثقافة المؤسسات والقانون يجعل القيادات الاجتماعية المسيرة للمنظمات على وجه الخصوص تحول كل هياكل المنظمة لخدمة مصالحها الشخصية، وتصبح المنظمة هي الفرد القائد فقط، بينما يتحول بقية العاملين في

المنظمة إلى كائنات بيولوجية لا هدف لها إلا تقاضي الأجر لتلبية الحاجات البيولوجية "ومنظمة الدولة حسب عالم الاجتماع ابن خلدون تمر بثلاث مراحل، المرحلة الأولى: ويتميز فيها الجيل الأول بثقافة البداوة والشظف والبسالة وتعاون العصبية، والجيل الثاني يتميز بثقافة التحضر والخصب والاستكانة ونقص تعاون العصبية وبقاء قيم المدافعة والحماية أما الجيل الثالث فيتميز بثقافة الترف والتبذير واختفاء التعاون العصبي وبروز الصراعات والذي يؤول إلى هرم الدولة واختفائها" (عبد الرحمان ابن خلدون، بط، ص 202 )

انطلاقاً مما سبق نجد أن منظمة الدولة تقوم في بداية نشأتها على الطاقة الروحية القائمة على التعاون والتعاقد والبداوة وتعاون العصبية ثم تأتي المرحلة الثانية فتقوم الدولة على الطاقة العقلية وثقافة التحضر وينقص التعاون العصبي وفي المرحلة الثالثة حيث يحل الهرم والشيوخوخة بالدولة تقوم على أساس الطاقة الغريزية وتبرز الصراعات وتتهالك وتتآكل منظمة الدولة

" أعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم، وإذا ذهبت أموالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالأمال جملة بدخوله من جميع أبوابها، وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته، والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين، فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران، وانتفضت الأحوال وابتدع الناس في الأفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، فخف ساكن القطر، وختل دياره وخربت أمصاره، واختل باختلاله حال الدولة والسلطان، لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة" (عبد الرحمان ابن خلدون، بط، ص 320 )

يؤكد ابن خلدون في كلامه السابق أن الظلم أذان بخراب العمران بخراب العمران السياسي والاقتصادي والثقافي للأمم والدولة فإذا انتشر الظلم واختل الحقوق والواجبات يحدث كساد كبير في الأسواق الاقتصاد والإنتاج وينتج عنه الهجرة إلى الدول التي يوجد بها العدل.

### III- خريطة العمران الثقافي للمنظمات في نسق العمران السياسي والاقتصادي للمجتمع:

المجتمعات المدنية مؤسسة على ثقافة القانون والعدل والقيم الثقافية الإيجابية، بينما المجتمعات البربرية المتوحشة فتقوم علاقاتها على القوة أي البطش الذي تتحكم إليه المنظمة في كل المستويات الماكروسوسولوجية والميكروسوسولوجية.

"المجتمع المتمدن يستمد قوته من وجود مقاييس أي قيم اجتماعية وقواعد وأعراف راسخة ومشاركة يؤمن ويدافع عنها ويتعلق بها ويجعلها معياراً لسلوك تفكيره، وأن هذه القيم والقواعد الثابتة التي وصل إليها بالخبرة التاريخية، ودفع ثمنها ضحايا وصراعات لا حد لها، مغرورة معاً في الواقع الموضوعي والممارسة وفي العقل وفي العقيدة وفي الخيال والشعور، وأنها أصبحت رديف للعدل، أي لاحترام كل طرف حقوق الطرف الآخر، والخضوع للحق وبالمقابل يعيش المجتمع البربري بدون قواعد ومنظمة ومقبولة عموماً سواء أكانت مقاييس روحية أو عقلية أو مادية، ومقياسه الوحيد هو القوة المجردة، أي البطش، الذي ينظم في الأسرة والمدرسة والدولة والمجتمع علاقات الأفراد والجماعات فيما بينهم، وتحركه غريزة التسلط أو الخوف أو العدوان بديلاً للمباراة في الإبداع والإنجاز والمواهب العقلية، وتتحكم به نفسياً وواقعياً، قوى لا يستطيع ولا يعرف السيطرة عليها، فيخرجها في صورة مؤامرات فردية أو عشائرية أو طائفية أو سياسية" (برهان غليون، 1990، ص

( 153 )

والمجتمعات العربية تسودها قيم التوطن والبربرية والعلاقات على مستوى المنظمات الماكروسوسولوجية والميكروسوسولوجية أي أن هذه المجتمعات قائمة على الأشخاص والقوة وغياب المؤسسات لذلك نجدتها عبارة عن مجتمعات عنكبوتية البنيان والأنساق تتصف بالتبعية وانتشار الفقر والسلطوية المعادية للإنسان والاعتزاب الثقافي وسيادة العلاقات الشخصية.

"المجتمع العربي مجتمع متخلف، وهو جزء من العالم الثالث يكافح بوسائله الخاصة للتحرر من الاستعمار بأشكاله المعلنة والخفية ولتنمية موارده الإنسانية والطبيعية، ومن بين أهم ظواهر التخلف:

أ\_ ظاهرة التبعية: المتجلية بعدم سيطرته على موارده ومصيره وبوجود فجوة حضارية تفصل بينه وبين المجتمعات المتقدمة، كان المجتمع العربي لقرون وما يزال معرضاً لهيمنة خارجية، فمارست المجتمعات المتقدمة عليه وضده، وما تزال تمارس، جميع أنواع الاستغلال والقهر والإذلال، مقابل هذه الهيمنة يكافح العرب في سبيل التحرر وردم الفجوة الحضارية وإنماء قدراتهم ومواردهم.

ب\_ ظاهرة الفقر المتجلية بوجود فجوة عميقة واسعة بين الطبقات المسورة والطبقات المحرومة الكادحة، في الوقت الذي يمتلك العرب ثروات طائلة، تعيش نسبة مهمة من الشعب العربي في حالة فقر ساحق، في ظل هذه البنية الطبقية الهرمية يعاني الشعب من حالة تبعية داخلية شبيهة بالتبعية الخارجية فتمارس عليه وضده مختلف أنواع الاستغلال والقهر والإذلال، بذلك يعاني الشعب من حالة تبعية داخلية شبيهة بالتبعية الخارجية فتمارس عليه وضده مختلف أنواع الاستغلال والقهر والإذلال، بذلك يعاني الشعب من تبعية مزدوجة، إن الاستعمار يسيطر على كثير من البلدان العربية بواسطة الطبقات الحاكمة المسورة التي تسيطر بدورها، وبدعم من الاستعمار، على الطبقات المحرومة الكادحة، إن الدائرة شرسة ويصعب كسرها، فكما أن التبعية مزدوجة كلك عملية التحرير.

ج\_ ظاهرة سلطوية الأنظمة السائدة المعادية للإنسان، إن الأنظمة والبني والاتجاهات السائدة لا تشرك الشعب في صنع مصيره وتعتدي على حقوقه ولا تعمل في سبيل نموه وتجاوز أوضاعه، بل على العكس، إنها عملية تحيله إلى كائن عاجز، مغلوب على أمره، ومأخوذ بتأمين حاجاته الآنية فتسيطر في حياته قيم مجرد المعيشة والاستمرار، وفي ل هذه الأنظمة السلطوية يعيش الإنسان في المجتمع على هامش الوجود لا في الصميم، وتحمل الأشياء والسلع والمقتنيات والاهتمامات السطحية روحه وفكره، يفكر، إنما ليس بنفسه ولأجلها، يشعر، إنما ليس بوجوده بل بالتراكم حوله، يحقق، إنما ليس لذاته بل لغيرها، يقيم علاقات، إنما هي في جوهرها علاقات اقتناص وذعر، إنه يعيش على هامش الوجود وليس في صميمه قلقلًا حذرًا باستمرار من احتمالات السقوط والفشل، وبينما تتضخم الأشياء حوله، يتقلص هو في الداخل

د\_ المجتمع العربي يعاني من حالة الاعتزاب عن ذاته، وأقصد باعتزاب المجتمع عن ذاته ثلاثة أمور هي: عدم سيطرة المجتمع على موارده ومصيره، وتداعي المجتمع من الداخل حتى ليبدو وكأنه فقد محوره وصميمه فلم يعد يمتلك إرادة وهدفاً وخطاً، وسيطرة المؤسسات على المجتمع بدلاً من سيطرته عليها

هـ\_ إن المجتمع العربي تسوده العلاقات الاجتماعية الوثيقة الشخصية: إن العلاقات الاجتماعية في المجتمع العربي ما تزال في غالبيتها وحتى في المدن علاقات أولية أي علاقات شخصية، وثيقة، لارسمية، تعاونية، فئوية يستمد منها الفرد إكتفاءً ودفعاً واطمئناناً نفسياً، ويلتزم من خلالها التزاماً كلياً بالأقرباء والمقربين في حياته، وتتعارض هذه العلاقات الثانوية السائدة في المجتمعات الصناعية (خاصة الرأسمالية) وهي علاقات لاشخصانية، رسمية تعاقدية، تنافسية، دونما التزام بالأخر فيستمد الفرد إكتفاءه ليس من علاقاته بالآخرين بل من إنجازاته ونفوذه ومكانته بالدرجة الأولى" ( حليم بركات، 1985، ص 20 )

المجتمع العربي مجتمع غارق في بحر التخلف، والتبعية لدول المركز، هذه الدول التي تستغل ضعفه وتستنزف موارده وخيراته، وفي الوقت ذاته يعيش تحت هيمنة الاستبداد السياسي يشتت طاقاته التاريخية، فتندم في الشعب القيم الإنسانية الإيجابية ويتحول إلى الإنسان دون أن يشعر إلى قطيع من البهائم الاجتماعية التي تأكل وتنام وتتسافد وليس لها أي وظائف تاريخية من تعلم وقراءة وكتابة ونقد تاريخي.

" تعاني البلدان المتخلفة من سوء الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية والروحية والاقتصادية والسياسية، مما أدى إلى إشكالية الثقافة في ظهور وطغيان القيم الثقافية السلبية عن القيم الثقافية الإيجابية، هذه القيم الثقافية السلبية التي ظلت تعرقل الجهود المبذولة في المشاريع التنموية، وستبقى العامل الرئيسي الحائل دون نجاح المشاريع التنموية لذلك يجب تدارك ذلك، من خلال دراسته القيم الثقافية الإيجابية والقيم الثقافية السلبية، ومعرفة تهمة الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية والروحية والاقتصادية والسياسية لتأسيس وتأجيل القيم الثقافية الإيجابية، والقضاء على القيم الثقافية السلبية" (رشيد زرواتي، 2011، ص 197)

إن انتشار القيم الثقافية السلبية في الجسم التاريخي للأمة والدولة يشبه تماما انتشار الجراثيم والطفيليات والميكروبات في الجسم البيولوجي للإنسان والحياة فهي لا محالة ستهلك هذا الجسم بعد أن تمرضه ولا خيار له إلا أن يقضي عليها أو تقضي عليه وكذلك القيم السلبية إذا لم يقي عليها الجسم التاريخي للأمة والدولة عن طريق العلم والعدل وتوطينهما فستقضي عليه لا محالة إنهما قوانين التاريخ.

"تفشل الأمم اقتصاديا بسبب المؤسسات الاستحواذية المستخلصة للثروات، فهذه المؤسسات تجعل البلدان الفقيرة تظل فقيرة وتمنعها من المضي قدما نحو طريق النمو الاقتصادي، وهذه هي حقيقة ما يحدث اليوم في إفريقيا، في أماكن مثل زيمبابوي، وسيراليون، وفي أمريكا الجنوبية، في بلدان مثل كولومبيا والأرجنتين، وفي آسيا، وفي دول مثل كوريا الشمالية وأوزبكستان، وفي الشرق الأوسط، في دول مثل مصر، هناك اختلافات ملحوظة بين هذه الدول، فبعضها استوائي، والبعض الآخر في بعض مناطق خطوط العرض المعتدلة، والبعض منها مستعمرات بريطانية أو يابانية أو إسبانية أو روسية، وتختلف فيما بينها بشكل كبير في التاريخ، واللغة، والثقافة، لكن الشيء الوحيد المشترك بينهم هو المؤسسات الاستحواذية، وفي جميع هذه الحالات، نجد أن أساس هذه المؤسسات يتمثل في نخبة تقوم بتشكيل طبيعة المؤسسات الاقتصادية من أجل إثراء نفسها واستدامة قوتها وسلطتها على حساب الغالبية العظمى من الشعب، أدى إلى الاختلاف في التاريخ والتركيب الاجتماعية في هذه البلدان إلى اختلافات وفوارق في طبيعة النخب وتفصيل المؤسسات الاستحواذية، لكن سبب استمرار هذه المؤسسات الاستحواذية يرتبط دائما بالحلقة المفرغة، وأن الآثار التي تتركها هذه المؤسسات في إفقار مواطنيها تعد متشابهة، حتى لو اختلفت حدتها" (دارن اسيموجلو\_جيمسأ. روبنسون، 2015، ص 520)

ومنه فإن هذه المؤسسات الاستحواذية التي تمثلها طبقة الأوليغارشية الحديدية تعمل على السيطرة على الدولة والاقتصاد بهدف الجمع بين المال والجاه وتعمل تماما مثل السرطان الذي يخرج من الجسم ثم بما جم هذا الجسم الذي خرج منه، إن هذه الجماعات الاستحواذية لما تمسك بدواليب السلطة السياسية تعمل ليل نهار لتحقيق مصالحها الخاصة والتضحية بالمصلحة العامة للدولة والشعب وتحول الوطن إلى معتقل تاريخي جماعي.

#### **IV- المشروع الحضاري التنموي: تشييد العمران السياسي والاقتصادي على ضوء التنمية الثقافية والمعرفية للمنظمات الاجتماعية:**

إن التأسيس التاريخي للعمران الثقافي، يقوم أساسا على زرع بذور القيم الثقافية الإيجابية في أفراد المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية الإيجابية في كل الأسرة والمدرسة والإعلام والدولة التي تشرف بطريقة غير مباشرة على التنشئة السياسية للأفراد والجماعات والمنظمات

السياسية كالأحزاب والنقابات كل يتحرر في النهاية سلوكيات إيجابية ترسخ في الأفراد والجماعات هذه السلوكيات تساهم في البناء التاريخي لل عمران السياسي والاقتصادي للدولة والأمة.

"باختصار إذا كانت المجتمعات العربية لم تدخل بعد مرحلة النظم الديمقراطية الحقيقية التي يمكن تلخيصها في أربعة أركان: ممارسة السلطة العمومية من قبل ممثلين منتخبين في انتخابات حرة وعامة، أي الاعتراف بالسيادة الشعبية، وتكريس دولة القانون التي تضمن احترام القانون وتطبيقه بالتساوي على جميع أفراد المجتمع كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، وتأمين العدالة الاجتماعية من خلال نظام للتكافل والتصحيح يضمن تخب تميش الأغلبية الاجتماعية ثقافيا وسياسيا، وضمان الحريات الفكرية والسياسية والتنظيمية وإدارة مسؤولة وكفؤة، فذلك لأن الديمقراطية لم تطرح بعد في أي قطر عربي كمعركة رئيسية للتحويل الاجتماعي أو لتحويل المجتمعات بالعمق، وإنما كمطالب لتوسيع هامش الحرية والمبادرة لفئات محدودة من النخب الاجتماعية، وهي لم تطرح بعد بجدية لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العلمية، ولا يزال المنهج الذي تعالج به في الأوساط العلمية والسياسية العربية والعالمية معا، عندما يتعلق الأمر بالمجتمعات العربية، هو المنهج "الستاتيكي" تماما، سواء أكان ذلك من قبل من يسمون أنفسهم أصحاب المنهج الديني أو التحديشي". (برهان غليون، 2005، ص

( 445

وعلى هذا الأساس فإن أول لبنة في تشييد العمران السياسي والاقتصادي يتمثل في ترسيخ ممارسة السلطة العمومية من قبل منتخبين يتميزون بالكفاءة العلمية والمتانة الأخلاقية، وكذلك توطين العدل في المجتمع عن طريق المؤسسات القانونية لأن العدل أساس الملك كما يقول العلامة عبد الرحمان بن خلدون من جهة أخرى فإن إشاعة الحرية في المجتمع تضمن حرية التعبير وحرية النقد والصحافة وكذلك تأمين العدالة الاجتماعية بكل الوسائل القانونية والثقافية لأن الظلم أذان بخراب العمران.

" يكمن حل الفشل الاقتصادي والسياسي للأمم اليوم في تحويل مؤسساتهم الاستحواذية المستخلصة للثروات إلى مؤسسات ديمقراطية شاملة، وإن كان هذا ليس بالأمر السهل بمفهوم الحلقة المفرغة، ولكنه ليس بالمستحيل، وأن القانون الحديدي لحكم الأقلية (الأوليفاركية) ليس حتميا، يتم هذا سواء من خلال بعض العناصر الديمقراطية الشاملة الموجودة مسبقا في المؤسسات أو وجود تحالفات واسعة تقود الكفاح ضد النظام القائم أو مجرد أنها الطبيعة العارضة للتاريخ، يمكنها كسر الحلقات المفرغة مثل الحرب الأهلية في سيراليون، كانت الثورة المجيدة التي اندلعت عام 1688، بمثابة صراع على السلطة، لكنه صراعا ذو طبيعة مختلفة بدرجة كبيرة عن الحرب الأهلية في سيراليون، وربما كان بع البرلمانيون الذين قاتلوا لإزاحة الملك "جيمس الثاني" في أعقاب الثورة المجيدة، يتصورون أنفسهم يلعبون دور المستبددين الجدد، كما فعل "أوليفر كروموويل" بعد الحرب الأهلية الإنجليزية، إلا أن البرلمان كان في الحقيقة قويا بالفعل ويضم إئتلاف واسع من المصالح الاقتصادية المختلفة ووجهات النظر المختلفة التي جعلت من غير المرجح تطبيق قانون حكم الأقلية الحديدي في عام 1688، وساعد في ذلك أن الحظ كان إلى جانب البرلمان ضد "جيمس الثاني". (دارن اسيموجلو\_جيمسأ.روبنسون، 2015، ص 525)

واللبنة الثانية في تشييد العمران السياسي والاقتصادي المنتج للرقرة والأمن والغنى والثروات المادية يكمن في تحويل المؤسسات الاستحواذية (التي تمتلكها طبقة الأوليفارشية بهدف السيطرة على المال والجاه) إلى مؤسسات عمومية لخدمة الشعب قائمة على مبدأ التداول على السلطة بنظام انتخابي حقيقي يفرز الأبطال ويقضي على الأريشان الاجتماعية.

"يتم التوصل إلى البديل الثالث من خلال عملية تسمى التعاون الإبداعي، والتعاون الإبداعي هو ما يحدث عندما يصبح مجموع واحد زائد واحد: عشرة، أو مائة، أو حتى ألف إنه النتيجة المذهلة التي تحدث عندما يقرر اثنان أو أكثر من الناس المحترمين معا أن يتجاوز أفكارهم

الخاصة لمواجهة تحد هائل إنه الحماس، والطاقة، والإبداع، والإثارة التي تنتج عن خلق واقع جديد أفضل بكثير من الواقع القديم، والتعاون الإبداعي يختلف عن الحل الوسط، ففي الحل الوسط يكون مجموع واحد زائد واحد: اثنين أو اثنين ونصف في أفضل الأحوال، حيث يفقد فيه كل طرف شيئاً، أما التعاون الإبداعي فإنه ليس مجرد حل لصراع، لأنه يتجاوز الصراعات وصولاً لشيء جديد يثير كل الأطراف بوعدهم، ويغير المستقبل، التعاون الإبداعي أفضل من طريقي وطريقك، فهو طريقنا، التعاون الإبداعي هو فكرة لا يكاد أي إنسان يفهمها، ومن أسباب ذلك أنه أصبح فكرة مبتدلة نتيجة سوء استخدامها على نطاق واسع، فغالبا ما يستخدم تعبير "التعاون الإبداعي" في مجال الأعمال بصورة سيئة كتعبير لطيف عن عمليات الاندماج بين الشركات واستحواذ شركة على الأخرى بغرض زيادة سعر أسهمها، ومن خلال خبرتي أعرف أن استخدام كلمة "التعاون الإبداعي" مع من تتحدث معه يجعله يقلق، وذلك لأن الكثيرين من الناس لم يتعرضوا حقاً ولو لدرجة معقولة من التعاون الإبداعي، وإذا كان قد سبق لهم أن سمعوا الكلمة، فإنهم في الغالب قد سمعوا من أشخاص متلاعبين شوهوا معناها، لذلك قال لي أحد أصدقائي: عندما أسمع تعبير التعاون الإبداعي من أناس يرتدون حلالاً رسمية أعرف أن صندوق التقاعد عن العمل الذي أشارك فيه معرض للخطر، لقد فقد الناس الثقة في هذا التعبير، حيث جعلهم قادهم يفكرون بعقلية دفاعية، ويعتقدون أن كل الحديث عن [ التعاون الإبداعي والتكامل الإبداعي ] هو صورة مختلفة لقول: [ لقد أتيت لنا طريقة جديدة لاستغلالكم ]، والعقل الذي يفكر بأسلوب دفاعي لا يبدع ولا يتعاون.

ورغم كل هذا، فإنّ التعاون الإبداعي معجزة، إنه موجود في كل مكان حولنا، وهو مبدأ أساسي في العمل في كل العالم الطبيعي، حيث نرى جذور أشجار الخشب الأحمر تتشابك لتقف الأشجار قوية في وجه الريح، وتنمو إلى ارتفاعات مذهلة، ونجد الطحالب الخضراء والفطريات المتحددة في نبات الأشنة تنمو وترعرع على صخور ملساء لا ينمو عليها شيء آخر، ونرى أسراب الطيور تطير في تشكيل رقم (7) فستطيع بذلك أن تطير بسرعة تبلغ ضعف سرعة الطائر الذي يطير بمفرده بسبب التيارات الهوائية الصاعدة التي تنتج عن رفرفة أجنحتها، وإذا وضعت قطعتين من الخشب معا فتستطيعان تحمل أوزان أكبر بكثير مما تحمله منفصلين، والجزئيات الصغيرة في قطرات المطر تعمل معاً على خلق ندفة تلج تختلف اختلافا كاملاً عن أية ندفة تلج أخرى، وفي كل الحالات يكون الكل أكبر من مجموع أجزائه" (ستيفن كوفي، بط، ص 21).

وعليه نستخلص القانون التاريخي الجوهري في مجال الصراعات التاريخية بين الدولة والأمة، أنه عند وجود صراعات سياسية فأفضل طريقة هو الجلوس على طاولة الحل الإبداعي التعاوني عن طريق اختيار ممثلين أبطال ليشيدوا خريطة تاريخية جديدة من الاقتراحات الإبداعية التي تتحقق فيها المشاريع التاريخية العملاقة المنشأة لدولة المؤسسات والقانون والمدنية والحضارة.

#### IV- الخلاصة:

إن حركة المنظمة في التاريخ مبنية أساساً على حركة بيانية رياضية قائمة على الستاتيكا والديناميكا وتنشأ هذه الأخيرة أساساً على الحالة المتغيرة لشبكة العلاقات الاجتماعية من الصراع إلى التعاون، هذه العلاقات الاجتماعية المتباينة تنتج أصلاً من نوعية القيم الثقافية المنتشرة في المنظمة، فالمنظمة التي تنتشر فيها القيم الثقافية السلبية تكثر فيها الصراعات المهذرة للوقت والمال والمنظمات التي تنتشر فيها القيم الثقافية الإيجابية يكثر فيها التعاون المفرد للمال والوقت، الأولى يكون عمرانها السياسي والاقتصادي ضعيف والثانية يكون عمرانها السياسي والاقتصادي ضعيف والثانية يكون عمرانها السياسي والاقتصادي قوي، ومن أجل الوصول إلى العمران السياسي القوي ينبغي أن نقيم تنمية ثقافية للمنظمات الاجتماعية وخاصة منظمة العمل ومنظمة القانون ومنظمة التربية ومنظمة الأخلاق.

**- الإحالات والمراجع :**

- أنتوني غيدنز، تر: فايز الصباغ، (2005)، علم الاجتماع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- برهان غليون، (1990)، اغتيال العقل، بط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- برهان غليون، (2005)، نحو مشروع حضاري غضوي عربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- جيرالد جرينبرج، روبرت بارون، ت: رفاعي محمد رفاعي، إسماعيل بسبوني، (2004)، إدارة السلوك في المنظمات، ط7، دار المريخ، الرياض.
- حلیم بركات، (1985)، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية.
- خليل محمد حسن الشماع، حظير كاظم حمود، (2014)، نظرية المنظمة، ط5، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان
- دارن أسيموجلو- جيمس أ، روبنسون، تر، بدران حامد، (2015)، لماذا تفشل الأمم، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة
- رشيد زرواني، (2011)، إشكالية الثقافة في التنمية بالبلدان المتخلفة، ط1، زاعباش للطباعة والنشر، الجزائر 2011
- ستيفن كوفي، (ب.ت)، البديل الثالث، ط1، مكتبة جرير، الرياض
- عبد الرحمان بن خلدون، (ب.ت)، المقدمة، بط، دار الهدى، الجزائر
- عبد الرحمان بن خلدون، (ب.ت)، المقدمة، بط، دار الهدى، الجزائر